النوم والذهول ونظائرها

اشتغلت الجرائد العلميَّة والطبيَّة منذ اشهر قليلة بامر رجل فرنسوي ينام الاسبوع والاسبوعين ويبدو منهُ اثناء نومهِ ما يجعلهُ في حدّ الغرابة فرأينا ان نبسط قصتهُ ونشفعها بنظائرها لما في ذلك من الغرابة والفائدة

ولد هذا الرجل سنة ١٨٤٨ من عائلة معرَّضة للامراض العصبيَّة وانتظم في سلك الجيش الفرنسوي الذي حارب في بلاد الجزائر. ولما كانت الحرب بين فرنسا وبروسيا جُرِحَ في ذراعهِ اليسرى جرحاً بليغًا اوجب قطع يدهِ وكان ذلك سنة ١٨٧١ . وبعد بضعة اشهر كان يتعشَّى فوقع عليهِ بغتةً سبات شديد حتى لم يمكن ايقاظهُ منهُ حينئذٍ. وفي الصباح التالي جعل يهذي ودام معهُ الهذيان يومين ثم استيقظ وعاد الى نفسهِ. واصابهُ هذا السبات مرةً ثانية سنة ١٨٧٨ وتبعهُ عسر في النطق دام معهُ زمانًا طويلاً. وسنة ١٨٨٠ فقد النطق تمامًا واصابهُ فالج في ساقهِ اليسرى فعالجهُ الاطباء ستة اشهر

ثم ترددت عليهِ هذه النوب حتى سنة ١٨٨٥ وحينئذٍ دخل مستشفى سالبتريير بباريس وعالجهُ الاستاذ شاركو الشهير وكان الفالج قد عمَّ شطرهُ الايسر والذعور فقد منهُ ولم يعد قادرًا على النطق بل كان يعبّر عمَّا في ضميرهِ بالكتابة . ثم انحلَّت عقدة لسانهِ بغتةً وعادت اليهِ قوَّة النطق

وعاودتهُ نوب السبات وفقد قوة النطق وفالج الشطر الايسر مرارًا واصابتهُ النوبة الاخيرة في ٢٤ مارس (آذار) سنة ١٨٨٧ على اثر سرقة دراهمهِ فبقي نائمًا اسبوعين متواليين واستيقظ من النوم فاقدًا قوة النطق ومصابًا بفالج الشطر الايسر وكان وهو نائم لا يسمع الاصوات مهما اشتدَّت ولكن اذا وُجِّهت اشعة النور الى عينيهِ انفتحتا رويدًا رويدًا واتجهتا نحو مركز الاشعة . وكان في سباتهِ كالذين ينوِّمون النوم المغنطيسي فاذا امسكتَ يدهِ وحركتها مرارًا كثيرة حركة من يضرب بالمطرقة ثم تركتها استمرَّت تتحرك هذه الحركة من نفسها الى ان توقفها . واذا اوقفتهُ وبسطت ساعدهُ واطبقت اصابعهُ كمن يتهدَّد غيرهُ قطَّب حاجبيهِ ونظر الى يدهِ كمن يكاد يميِّز غيظًا . واذا وضعت حينئذٍ حاجزًا غير شفاف بين عينيهِ ويدهِ اغمض عينيهِ وارخى يدهُ وعاد الى سباتهِ

وفي الاسبوع الثاني من سباتهِ ابتدأ يطيع كل ما أُمرهِ فان قال لهُ قائلٌ افتح عينيك فتحهما وان قال لهُ اقعد قعد وان سألهُ سؤالاً بسيطًا اجابهُ عليهِ كتابةً وان املى عليهِ شيئًا كتبهُ وان قال لهُ اكتب لي مكتوبًا كتب آخر مكتوب كتبهُ قبل ان اصابتهُ هذه النوبة . ثم زال الشعور

من شطره الايسر وصار يتأثر بالمغنطيس والكهربائية كما يتأثر المصاب بنوب الصرع المستيري فهذا السبات نوع من النوم ولكن الفرق بينهُ وبين النوم الطبيعي كالفرق مابين الثريا والثرى ومع ذلك فلا يوجد حدٌّ فاصل بين النوم الطبيعي وغير الطبيعي لان كلاًّ منهما يتدرّج درجات كثيرة حتى يلتبس بالآخر في درجاتهِ البعيدة

ومعلوم ان الناس توصلوا منذ حين الى تنويم اصحاب المزاج العصبي بما يعرف بالنوم المغنطيسي او المبنوتزم ولم يقتصروا على ذلك بل صار يمكنهم ان يدرّجوهم على كل درجات النوم من السبات البسيط الى الصرع المستيري . فاذا نُوّم الانسان بامرار اليدين امامهُ حسب طريقة التنويم الشائعة ثمَّ ضغط عصب غليظ من اعضائهِ بالاصبع او بقلم انقبضت العضلات التي يتفرّع فيها ذلك العصب واذا لم تُمسَّط لبثت منقبضة ساعات بل ايامًا ولو استيقظ المنوَّم ثم نام نومًا طبيعيًّا . ولكن اذا ضُرب الجلد فوق العضلات المنقبضة ضربة خفيفة زال الانقباض حالاً وانبسطت العضلات اي عادت الى حالتها الطبيعيَّة. هذا في حالة السبات المعروفة بالليثرجيا ولكن قد يمكن ايصال الانسان في نومهِ المغنطيسي الى حالة التيبُّس المعروفة بالكاتالبسيا فيصير كصنم من الشمع كيفما حرَّكتَ اعضاءهُ تحرَّكتْ وبقيت على الوضع الذي وضعتها فيهِ الى ان تحركها الى جهة اخرى ولا يبدو منها اقل ممانعة . واذا ضربت الجلد فوقها لم تعد الى وضعها الطبيعي كما يحدث في السبات . ثم ان هاتين الحالتين قد تحدثان للانسان في وقت واحد معًا فاذا وقع السبات عليهِ وفتحت عينهُ اليمنى مثلاً فقد يقع التيبس في كل الشطر الايمن من بدنهِ . ويمكن ايصالهُ ايضًا الى حالة ثالثة بين حالة السبات والتيبس وهي حالة السمنبولزم او الذهول وذلك بضغط قمة رأسهِ او بفركها قليلاً . وحينئذٍ اذا ضُرب عضوٌ من اعضائهِ انقبض ولم ينبسط بضرب الجلد فوقهُ كما في السبات . واذا اريد بسطهُ باليد انبسط ولكن لا بسهولة كما في التيبس

واذا بلغ الانسان هذه الحالة الاخيرة قويت ذاكرتهُ واشتدَّ شعورهُ وامكن ان يمتحن فيهِ ما سُمّي بالاستهواء او الايعاز لانهُ يصير كآلة في يد الممتحن يديرها كيف شاء فاذا بسط لهُ يدهُ واطبق اصابعها حتى صارت كيد المنهدّد انفتحت عيناهُ وارتجفت عضلات وجههِ ووقف وقفة المنهدد في الحال كأن وضع اليد على هذه الصورة اوعز الى بقية الاعضاء ان تجاريها او اغواها على مجاراتها . وتعليل ذلك ان وضع اليد على هذه الصورة يؤثّر في اعصابها ومنها الاعصاب تؤثّر في بقية الاعصاب التي تدعو الجسم الى الوقوف هذا الموقف بما بينها وبينها من المشاركة . واذا أُلقي هذا الانسان على يديهِ ورجليهِ اخذ يدبُّ عليها كذوات الاربع وقد لا يكفُّ عن الدبّ

حتى يوقظ وذلك مثل ما لو نُزع دماغ الضفدع وطُرحت في الماء فانها تأخذ في السباحة حالما يمسّ الماء بدنها. واذا وُضع امامهُ صحفة وفي يدهِ ملعقة شرع يغرف بها من الصحفة ويضعها في فيهِ كمن ياكل ولو لم يكن في الصحفة شيء . واذا وُضع امامهُ حذاء او جعل يلبسهُ ويخلعهُ مرةً بعد أُخرى الى ان يؤخذ منهُ او يوقظ . واذا ذُكِر على مسمعهِ اسم نبات او حيوان بدت على وجههِ امارات مَنْ يرى الشيء المذكور بعينهِ . واذا قلت لهُ ان يدهُ بابسة ولا يمكنهُ ان يحرّكها وجد من نفسهِ انهُ لم يعد قادرًا على تحريكها مع انهُ يشعر بانهُ قادر على تحريكها

ولا يبلغ هذا الحد الاَّ المصابون بالهستيريا او بالصرع الهستيري والظاهر انهم بين الشعب الفرنسوي اكثر منهم بين الشعب الجرماني وبين النساء اكثر منهم بين الرجال بل هم بين الرجال نادرون جدًّا ومنهم الرجل المذكور في صدر هذه المقالة

وهذه العوارض الثلاثة اي السبات والتيبس والذهول غير نادرة حتى في بلادنا فقد رأينا شابًّا اصابتهُ نوبة سبات دامت نحو اكثر من اسبوعين وهو الآن في بيمارستان المجانين بمصر. ويقال ان بعض الذين يدفنون احياء يكونون مصابين بالسبات . قيل ان امرأة من اهالي فينا اصابتها نوبة سبات فظنها اهاليها ميتة ودفنوها وكان وكيل الكنيسة معتادًا على سرقة ثياب الموتى فلما فتح تابوتها استيقظت من سباتها فارتعدت فرائصهُ وفرّ هاربًا فجعلت تناديهِ وتستغيث بهِ لكي يأخذها الى الطبيب . وان فتاة أُخرى أُصيبت بنوبة من هذه النوب ودُعي لها الطبيب فاستخدم كل الوسائط لايقاظها ولما لم يستطع قال انها ميتة فكفنوها وجهزوها للدفن وكان هو لم يزل مرتابًا في موتها فاخذ يتفحصها جيّدًا فوجد انها تتنفس تنفسًا بطيئًا فاستخدم لها الدلك والفرك والمنبهات حتى انتبهت فلما فتحت عينيها التفتت الى من حولها وضحكت وقالت للحاضرين "ما الموت لفتاة حديثة السن مثلي" . ولم تفقد الشعور في كل مدّة سباتها بل كانت عالمة بكل ما جرى حولها

ونوب التيبس كثيرة الحدوث ايضًا . يحكى ان جنديًّا تخاصم مع رفيقهِ وهما يشربان ورفع القنينة ليضربهُ بها فيبست يدهُ بل يبس جسمهُ كلهُ واقام كذلك لا يتحرك ولا يعي شيئًا . وان قاضيًا كان يتكلم في قضية فاعترضهُ رجل اعتراضًا اغاظهُ فيبس وهو على هذه الحالة وشرر الغيظ يتطاير من عينيهِ . وكثيرًا ما كانت هذه الحوادث اصلاً لاوهام وخرافات لا محل لتبيينها هنا

قدّر بعضهم انهُ يجري من البر الى البحر كل سنة ٦٥٦٩ ميلاً مكعبًا من ماء المطر وتجرف معها كل سنة ما ثقلهُ خمسة آلاف مليون طن من تراب الارض وحجارتها